

الأسرى المحرّبون في الإسلام

والقانون الدولي العام

للاستاذ توفيق على وهبة
مدير الشؤون القانونية - بالقاهرة

« فَاذَا لَقَيْتُمُ النَّبِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا تَخَنَّقْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا
الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا »
(صدق الله العظيم)

يدعو الإسلام إلى المحافظة على كرامة الإنسان وعدم اهانتِهِ أو
اذلالهِ ، واهدارِ آدميته سواءً أكانَ هذا الإنسان مسلماً أو غيرَ مسلّم ، ولم
يفرق الإسلام بين معاملة الناس في السلم أو في الحرب ، ولذلك تجده رقيقاً
بالأسرى ، كريماً في معاملتهم . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
« استوصوا بالأسرى خيراً » .

ولقد حَبَّبَ القرآنُ الكريمُ الانفاقَ على الأسيرِ وتقديمِ الطعامِ
والمساعدةِ لَهُ حتَّى ان المسلمين الأوائِل كانوا يقدمون الأسرى على أنفسهم
ويخصونهم بأجودِ ما يملكون من الطعامِ ويعاملونهم أحسن المعاملةِ .

ولقد نَهَى الإسلام عن قتلِ الأسرى أو الانتقامِ منهم أو تعذيبهم وإنما
يجزؤون حتى لا يقاتلوا المسلمين في صفوفِ المشركين وبعد أن تنتهي
الحرب فيلوي الأمر أن يتصرف فيهم باحدِ أمرين :

أولهما :

المسئ : أى الصفح عن الأسير وفك أسره بلا مقابل إذا كان
من المصلحة العامة ذلك أو كان لا يملك مالا يفدى به نفسه ،
وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم من على أحد الأسرى
حينما وجد أن مصلحة المسلمين في ذلك - روى أبو هريرة رضى الله
عنه ان خيلاً للمسلمين أسرت ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة تجاد
نجد وجاءوا به الى المدينة فسأله النبي صلى الله عليه وسلم ما
عندك يا ثمامة ؟ فقال عندي يا محمد خير إن تقتل تقتل ذا ديم وإن
تنعم تنعم على شاكرك . وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما تشاء ،
فتركه النبي صلى الله عليه وسلم الى الغد ثم أمر بإطلاق سراحه
بغير فداء فخرج في طريقه الى بلده ولكنه أتى نخلاً قريباً من المدينة
وقد أثر فيه هذا الصنيع فاغتسل ثم عاد الى المسجد ودخله فوجد
النبي صلى الله عليه وسلم فشهد ان لا اله الا الله وان محمداً
رسول الله وعاد الى اليمامة . وكان أهل مكة يشتررون الحنطة من

اليمامة فاقسم الأتباع إليهم إلا بعد إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب أهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم يطلبون منه الموافقة على استمرار التجارة بينهم وبين أهل اليمامة فكتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ثمامة بإباحة التجارة بينهم .
كما من الرسول صلى الله عليه وسلم على أهل مكة بعد أن فتحها الله على المسلمين وقال قولته المشهورة « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ثانيهما :

الفداء : ويكون الفداء بالرؤوس أى بمبادلة أسرى المسلمين بأسرى الأعداء أو ان يدفع الأسير فديته من مال حتى يخلصه سبيله .

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم فدية الأسرى من المشركين فى إحدى الغزوات ان يعلم الأسير عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة .

ولم يقر الإسلام استرقاق الأسرى فلم ينشئ النبي صلى الله عليه وسلم الرق على حرّ أبداً ولكنه حرّر ما كان عنده من رقيق فى الجاهلية كما اعتق كل رقيق أهدي إليه .

فما قرآن لم يذري الرق ولم ينة عنه ولكنه ترك ذلك دون أمر وكذا
النبي صلى الله عليه وسلم لم يقر استرقاق الأسرى وان كان لم
يمنعه ، ولذلك نجد أن الخلفاء الراشدين وبعض حكيم المسلمين من
بعدهم استرقوا الأسرى وذلك من قبيل المعاملة بالمثل . فإذا كان
المشركون يسترقون أسرى المسلمين أبيع للمسلمين استرقاق
أسراهم معاملة بالمثل . ويجرم استرقاق أسرى الأعداء إذا لم
يسترقوا أسرى المسلمين ...

هذا هو موقف الإسلام من الأسرى يعاملهم معاملة انسانية رقيقة ،
لا يعذبهم ولا يقتلهم ولا يسترقهم ، ولكن يعفو عن الضعفاء وغير
القادرين منهم ويأخذ الفدية من القادرين .

فما هو موقف القانون الدولي العام في العصر الحديث من الأسرى
الذين سبق للإسلام ان عاملهم معاملة مثالية منذ أكثر من أربعة
عشر قرناً ؟

الاسير في القانون .

تعرّف لائحة لاهاي واتفاقية جنيف سنة 1949 الخاصة بأسرى
الحرب الأسير بأنه من يقع في يد الدولة المحاربة من جيش الأعداء

أو من يقومون بخدمة القوات المعادية كموظفي التموين والنقل
والمواصلات وكذا المتطوعين وأفراد الشعب متى قاوموا العدو
وقاتلوهم وبائعوا المأكولات ومتعهدوا التوريد للجيش ومراسلوا
الصحف ورؤيس الدولة المعادية ووزرائها وكبار موظفيها الذين
يتولون أعمالاً لها صلة بالحرب وبشرط أن يقعوا في الأسر في ميدان
القتال أو دائرته . وسبب الأسر في القانون الدولي العام كما هو
في الاسلام أبعاد الأسرى عن ميدان القتال لضعاف قوة العدو
المقاتلة ، ويوجب القانون حسن معاملة الأسرى ووضعهم في
المعتقلات الخاصة بعيداً عن مناطق الحرب على أن يقدم لهم الطعام
واللباس . ويجوز تشغيل الجنود دون الضباط مقابل أجر مناسب
وفي الاعمال غير المرهقة .

معاملة الاسرى .

يحرم القانون الدولي العام وكذا اتفاقيات جنيف سنة 1949
الاعتداء على أسرى الحرب سواء في أشخاصهم أو في شرفهم أو
امتهانهم كما يحرم قتلهم مهما كانت الظروف أو عقابهم بسجون
محاكمة أو وضعهم في السجون أو في أمكنة غير صحية . ولا يجوز
اكراه الأسرى على الإدلاء بأية معلومات .

واعتبرت لائحة محكمة نور مبرج سوء معاملة أو قتل
الاسرى أو قتل الرهائن جريمة حرب تستوجب العقاب عليها
ومحاكمة كل من اشترك في تعذيب او قتل أسير .

توفيق على وهبه

مدير الشؤون القانونية – تفتيش عام ضبط النيل

بريد الدواوين – القاهرة

روى الامام البخاري في كتاب الفتن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : (يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح ، وتظهر الفتن ، ويكثر
الهرج) :

ومعنى يتقارب الزمان تنقص بركته فينقضي الزمان سراعاً ولا يتمكن
الناس من أداء عملهم على الوجه المطلوب .